بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد وآله الطيبين الطاهرين

واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

قال الله تبارك وتعالى: **{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ}**[1].

وهنا عدّة مطالب في الآية الشريفة:

المطلبُ الأوّل: في مفهوم كلمة "الناس".

إنّ عنوان "الناس" قد ورد في القرآن الكريم في مائتين وأربعين مورداً.

واختلف اللغويون في أصله الاشتقاقي:

القولُ الأوّل: إنّه مشتقٌّ مِن الأُنس والبهجة، ولعلّه بهذا المعنى جاء قوله تعالى: **{لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ}**[2]، حيثُ إنّ معاشرة المرأة بطبعها متضمنةٌ لنوعٍ مِن الأنس، فلذلك عبر عن الإنسان في هذا الحال بأنّه إِنسٌ.

وهذا ما أشار إليه ابن فارس في مقاييس اللغة عند نقله إطلاق المبدأ على ما خالف طريقة التوحش، حيثُ قال: **(الهمزة والنون والسين أصلٌ واحد، وهو ظهورُ الشيء، وكلُّ شيءٍ خالَفَ طريقة التوحُّش. قالوا: الإنْس خلاف الجِنّ، وسُمُّوا لظهورهم.**

يقال آنَسْتُ الشيءَ إذا رأيتَه. قال اللهّ تعالى: ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً﴾[3] **ويقال:**

آنَسْتُ الشيءَ إذا سمعتَه. وهذا مستعارٌ من الأوّل. قال الحارث:

آنَسَتْ نَبأةً وأفزعَها القُ ... نَّاصُ عَصْراً وقد دَنَا الإمساءُ

والأُنْس: أُنْسُ الإنسانِ بالشيءِ إذا لم يسْتَوْحِشْ منه. والعرب تقول: كيف ابن إنْسِك؟ إذا سأله عن نفسه. ويقال إنسان وإنسانان وأناسيُّ. وإنسان العين: صَبِيّها الذي في السَّواد)[4].

---

[1] سورة البقرة، 8.

[2] سورة الرحمن، 74.

[3] سورة النساء، 6.

[4] مقاييس اللغة، ابن فارس، ج5، ص369.

القولُ الثاني: إنّه مشتقٌ مِن النسيان، فقد ورد عن ابن عباس أنّه قال: (**نسي آدم عهد الله فسمي إنساناً**)[5]، وقال الله تبارك وتعالى: **{وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ}**[6].

القولُ الثالث: أنّ الإنسان مشتقٌ مِن نوس بمعنى الاضطراب والحركة، فكأنّ الإنسان مِن خواصه أنْ يكون مضطرباً –لا ثابتاً– بين حكومة العقل مِن جهةٍ ونزعات الشهوات مِن جهةٍ أُخرى، فحيثُ إنّه يعيش الاضطراب في حقيقته عبر عنه بـ "الإنسان".

وهو ما ذهب له الكسائي كما نقله ابن حيان الأندلسي في تفسير المحيط، حيثُ قال: (**وذهب الكسائي إلى أن مادته نون وواو وسين، ووزنه فعل مشتق من النوس وهو الحركة، يقال: ناس ينوس نوساً إذا تحرك، والنوس: تذبذب الشيء في الهواء، ومنه نوس القرط في الأذن وذلك لكثرة حركته**)[7].

ورُبما جاء بهذا المعنى قوله تبارك وتعالى: **{وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا}**[8]؛ فإنّ الجدل يحكي عن حالةٍ مِن الاضطراب، وقوله تبارك وتعالى: **{إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ}**[9]، وقوله تبارك وتعالى: **{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}**[10].

وعنوانُ "الناس" اسمُ جمعٍ، وإذا أُطلق مِن دون قرينةٍ فهو ظاهرٌ في إرادة جنس الإنسان، نظير قوله تبارك وتعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}**[11]، وقوله تبارك وتعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ}**[12]، وقوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ}**[13]، وقوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ}**[14].

---

[5] الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، ج1، ص200.

[6] سورة طه، 115.

[7] تفسير البحر المحيط، لابن حيان الأندلسيّ، ج1، ص179.

[8] سورة الكهف، 54.

[9] سورة إبراهيم، 34.

[10] سورة الأحزاب، 72.

[11] سورة الحجرات، 13.

[12] سورة البقرة، 21.

[13] سورة النساء، 1.

[14] سورة فاطر، 3.

لكن رُبما يكونُ المرادُ الجدّي مِنهُ ما هو أضيق دائرةً مِن جنس الإنسان، بمعنى: أنّ المراد الاستعمالي وإنْ كان هو جنس الإنسان لكن المراد الجدّي فئةٌ خاصّة مِن الإنسان مِن باب تعدد الدال والمدلول:

1–فرُبما يرادُ بِهِ خصوص المشركين كما في قوله تعالى: **{رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}**[15] حيثُ إنّ المراد بـ "الناس" هنا المشركون الكافرون.

2–ورُبما يرادُ بِهِ خصوص المؤمنين كما في قوله تعالى: **{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ}**[16].

3–ورُبما يرادُ بِهِ الصفوة وهم النبيّ الأكرم وأهل بيته الأطهار (صلوات الله عليهم أجمعين) كما في قوله تعالى: **{أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ}**[17]، حيثُ ورد في الروايات الشريفة أنّ المراد بـ "الناس" هنا النبيّ (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام)، ومنها عدّة روايات وردت في أصول الكافي:

الروايةُ الأُولى: (الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَامِرٍ الْأَشْعَرِيُّ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْوَشَّاءُ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَائِذٍ، عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ الْعِجْلِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» فَكَانَ جَوَابُهُ: «أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هؤُلاءِ أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا» يَقُولُونَ لِأَئِمَّةِ الضَّلَالَةِ وَالدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ: هؤُلاءِ أَهْدى مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ سَبِيلًا «أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ» يَعْنِي الْإِمَامَةَ وَالْخِلَافَةَ «فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً» نَحْنُ النَّاسُ الَّذِينَ عَنَى اللَّهُ. وَالنَّقِيرُ: النُّقْطَةُ الَّتِي فِي وَسَطِ النَّوَاةِ «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» نَحْنُ النَّاسُ الْمَحْسُودُونَ عَلى مَا آتَانَا اللَّهُ مِنَ الْإِمَامَةِ دُونَ خَلْقِ اللَّهِ أَجْمَعِينَ «فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً» يَقُولُ: جَعَلْنَا مِنْهُمُ الرُّسُلَ وَالْأَنْبِيَاءَ وَالْأَئِمَّةَ، فَكَيْفَ يُقِرُّونَ بِهِ فِي آلِ إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَيُنْكِرُونَهُ فِي آلِ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

[15] سورة النساء، 156.

[16] سورة البقرة، 13.

[17] سورة النساء، 54.

وَآلِهِ)؟! «فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِنا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ ناراً كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ إِنَّ اللهَّ كانَ عَزِيزاً حَكِيماً»)[18].

الروايةُ الثانية: (عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ: عَنْ أَبِي الْحَسَنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي قَوْلِ اللهَّ تَبَارَكَ وَتَعَالى: «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللهَّ مِنْ فَضْلِهِ» قَالَ: «نَحْنُ الْمَحْسُودُونَ»)[19].

الروايةُ الثالثة: (الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي الصَّبَّاحِ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِاللهَّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَنْ قَوْلِ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ: «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللهَّ مِنْ فَضْلِهِ» فَقَالَ: «يَا أَبَا الصَّبَّاحِ، نَحْنُ وَاللهَّ النَّاسُ الْمَحْسُودُونَ»)[20].

4–وربما يرادُ بِهِ شخصٌ بعينه كما أحد الآراء في تفسير قوله تعالى: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهَّ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}[21].

وقد ورد في الرواية التاريخية كما في تفسير البرهان: (1–ابن شهرآشوب قال: ذكر الفلكي المفسر عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن رافع أنها نزلت في عليّ (عليه السلام)، وذلك أنه نادى يوم الثاني من أُحد في المسلمين فأجابوه وتقدم عليٌّ براية المهاجرين في سبعين رجلاً حتى انتهى إلى حمراء الأسد ليرهب العدو وهو سوق على ثلاثة أميال من المدينة ثم رجع إلى المدينة يوم الجمعة وخرج أبو سفيان حتى انتهى إلى الروحاء فلقي معبد الخزاعي فقال: ما وراءك؟ فأنشده:

كادت تهدّ من الأصوات راحلتي .. إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل

تردي بأُسد كرام لا تنابلة .. عند اللقاء ولا خرق معازيل

---

[18] الكافي، للشيخ الكليني، دار الحديث، ج1، كتاب الحجة، الباب16 بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) وُلَاةُ الْأَمْرِ وَهُمُ النَّاسُ الْمَحْسُودُونَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللهَّ (عَزَّ وَجَلَّ)، ح1.

[19] المصدر السابق، ح2.

[20] المصدر السابق، ح4.

[21] سورة آل عمران، 173.

فقال أبو سفيان لركب من عبدالقيس: أبلغوا محمداً أني قتلت صناديدكم وأردت الرجعة لأستأصلكم، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): (حسبنا الله ونعم الوكيل). قال أبو رافع: قال ذلك عليّ (عليه السلام) فنزل (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ) الآية)[22].

فقد حكت الآية هذه المقالة: **{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ}** مع أنّ المخبر عنه أيضاً واحد.

وقد أشار شيخ الطائفة الطوسي (أعلى الله مقامه) بأنّ "الناس" في قوله تعالى: **{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ}** فيها أقوالٌ ثلاثة، وأمّا المراد بالناس في قوله: **{إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ}** هو أبو سفيان وهو قول أكثر المفسرين، كما جاء في التبيان بقوله: **(وقيل في المعنيّ بقوله: {النَّاسُ} الأوّل ثلاثة أقوال:**

أوّلها: قال ابن عبّاس وابن إسحاق: إنّهم رَكْبٌ دسّهم أبو سفيان إلى المسلمين؛ ليُجَبِّنوهم عند مُنْصَرَفهم مِن أُحدٍ لمّا أرادوا الرجوع إليهم.

وقال السُّدِّي: هو أعرابيٌّ ضُمِنَ له جُعْلٌ في ذلك.

وقال الواقدي: هو نُعيم بن مسعود الأشجعي. وهو قول أبي جعفر وأبي عبدالله (عليهما السلام).

وقوله: {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ} المعنيّ به أبو سفيان وأصحابه، في قول أكثر المفسرين.

وقال مجاهد: إنّما كان ذلك في بدر الصغرى وهي سنة أربع، وكانت أُحد في سنة ثلاثة من الهجرة)[23].

المطلبُ الثاني: لا ريبَ أنّ عالمَ المادة عالمٌ متقومٌ بالحركة، وهي: الخروجُ مِن القوةِ إلى الفعلِ، فلا يوجدُ شيءٌ في عالمِ المادة إلّا وهو في حالة حركةٍ دائبة، ومِن موجودات عالمِ المادة الإنسان، فالإنسان أيضاً متقومٌ بالحركة، وقد سبق –في المطلب الأول– أنّ مِن المعاني الاشتقاقية لعنوان الإنسان أنّه مشتقٌّ مِن نوس، ونوس بمعنى الاضطراب الذي يعني الحركة، فالإنسان في حالة حركة، أي: أنّ النفس البشرية المتلبسة بالجسد مِن مقوماتها الحركة، فهي لا تهدأ طرفة عين.

والحركةُ المقومةُ لشخصيةِ الإنسان ذات أصناف: الحركة المادية، والحركة العقلية، والحركة الروحية.

---

[22] البرهان في تفسير القرآن، تأليف العلامة المحدث السيد هاشم البحراني، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ج2، ص131.

[23] التبيان في تفسير القرآن، تأليف شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (قدس سره)، تحقيق مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، ج7، ص121 – 122.

الصنفُ الأوّل: الحركة المادية، وهي السعي وراء حاجات الجسد مِن تحصيل الغذاء والراحة وإشباع الشهوات كما في قوله تعالى: **{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ}**[24] وليس معنى التزيين هنا تسويل الشيطان، وإنّما التزيين هنا بمعنى أنّه جعل في قوام الإنسان أنّه يميل إلى الشهوات.

الصنفُ الثاني: الحركة العقلية، -كما يقرره العلم الحديث- أنّ دماغ الإنسان في حالة النوم لا يقف لحظةً واحدًة، فالإنسان دائماً في حالة حركة، والدماغُ يعرض صوراً وينسخُ صوراً وينقلُ الإنسان إلى صورٍ أُخرى، وهذا ما يعبرُ عنه بـ "الحركة العقلية"، وهي حركة الاستنتاج والانتقال مِن المعلوم للمجهول كما هو المشار إليه في قوله تعالى: **{فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ}**[25].

الصنفُ الثالث: الحركة الروحية، وهي عبارة عن صقل النفس وبنائها، إمّا نحو الكمال وإمّا نحو النقص، وقد أشار لذلك القرآن الكريم بقوله: **{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا}**[26]، وقوله تبارك وتعالى: **{فَأَمَّا مَن طَغَىٰ * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ}**[27]، فكلاهما حركة، وكلاهما مسيرة، وكلاهما مِن مقومات الإنسان، غايةُ ما في الباب أنّ هذه حركةٌ نحو الكمال وتلك حركةٌ نحو السقوط كما في قوله تبارك وتعالى: **{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}**[28].

المطلبُ الثالث: بما أنّ مِن حركة الإنسان مسيرة الإيمان، فلابُدّ مِن الحديث عن حقيقة الإيمان وآثاره.

---

[24] سورة آل عمران، 14.

[25] سورةالزمر، 17 – 18.

[26] سورة الشمس، 7 – 10.

[27] سورة النازعات، 37 – 41.

[28] سورة العنكبوت، 69.

فقد ورد في الكافي الشريف: في حديث طويل: (**عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَدِيدٍ، عَنْ سَمَاعَةَ بْنِ مِهْرَانَ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِاللهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ مَوَالِيهِ، فَجَرى ذِكْرُ الْعَقْلِ وَالْجَهْلِ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِاللهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): (اعْرِفُوا الْعَقْلَ وَجُنْدَهُ، وَالْجَهْلَ وَجُنْدَهُ، تَهْتَدُوا)**.

إلى أنْ قال (عليه السلام): (**فَكَانَ مِمَّا أَعْطَى الْعَقْلَ مِنَ الْخَمْسَةِ وَالسَّبْعِينَ الْجُنْدَ: الْخَيْرُ، وَهُوَ وَزِيرُ الْعَقْلِ، وَجَعَلَ ضِدَّهُ الشَّرَّ، وَهُوَ وَزِيرُ الْجَهْلِ. وَالْإِيمَانُ وَضِدُّهُ الْكُفْرَ وَالتَّصْدِيقُ وَضِدُّهُ الْجُحُودَ. وَالرَّجَاءُ وَضِدُّهُ الْقُنُوطَ...**). ألخ[29].

وهذا الحديث الشريف يرشدُ إلى أنّ الإيمان غير التصديق؛ وإلّا لَمْ يكن وجه للتكرار في قوله (عليه السلام): (**وَالْإِيمَانُ وَضِدُّهُ الْكُفْرَ وَالتَّصْدِيقُ وَضِدُّهُ الْجُحُودَ**)، فما هو الفارق بين الإيمان وبين التصديق؟

والجوابُ عن ذلك: أنّ الإيمان هو عبارةٌ عن الإذعان القلبي، والتصديق هو عبارةٌ عن الإدراك الجزمي العقلي البرهاني، ولذلك فإنّ الإيمان وعاؤه القلب وهو عبارةٌ عن التفاعل والانعطاف والانقياد، بينما التصديق وعاؤه العقل وهو عبارةٌ عن الإدراك الجزمي المستند إلى البرهان، وهو ما أُشير إليه في الحديث: إنّ مِن جنود العقل التصديق العقلي مقابل الجحود، وإنّ مِن جنوده الإيمان الذي وعاؤه القلب، بمعنى انشراح الصدر للإسلام مقابل الانقباض، وقد أُشير لذلك في القرآن الكريم في قول الله عزّ وجلّ: {**أَفَمَن شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ**}[30]، وقال تبارك وتعالى: {**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ**}[31]، وقال سبحانه وتعالى: {**قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي**}[32]، وقال تبارك وتعالى: {**فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ**}[33].

---

[29] الكافي، للشيخ الكليني، دار الحديث، ج1، كتاب العقل والجهل، ح14.

[30] سورة الزمر، 22.

[31] سورة الشرح، 1 – 2.

[32] سورة طه، 25 – 26.

[33] سورة الأنعام، 125.

فلكُلّ منهما درجات، أي: كما أنّ للتصديق درجات فإنّ للإيمان درجات، وكما أنّ للإيمان درجات فإنّ للجحود والكفر درجات.

وقد أشار القرآن الكريم إلى درجات الإيمان بقوله تبارك وتعالى: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}**[34].

فالدرجةُ الأُولى وهي الانقياد القلبي، هي المنظور في قوله تعالى: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ}**.

والدرجةُ الثانية وهي عبارةٌ عن الدرجة الجوارحية، وهي المنظور في قوله تعالى: **{وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا}**، أي: الاستماع –لا السماع– إلى الآيات.

ثمّ تأتي الدرجةُ الثالثة وهي قوله تعالى: **{وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ}**.

المطلبُ الرابع: في تحليل مفردات الآية المباركة، وهي عدّة:

المفردةُ الأُولى: قوله تبارك وتعالى: **{وَمِنَ النَّاسِ}**.

ومِن الواضح أنّ "مِن" للتبعيض، فكأنّه قال: "بعضُ الناس"، وهذا التعبير قد يكون في سياق الذم وقد يكون في سياق المدح.

أمّا سياق الذم ففي قوله سبحانه وتعالى: **{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ}**[35].

وأمّا سياق المدح ففي قوله تبارك وتعالى: **{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ}**[36].

المفردةُ الثانية: إنّ منظور الآية في قوله جلّ ثناؤه: **{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ}**[37] هم المنافقون.

---

[34] سورة الأنفال، 2 – 4.

[35] سورة البقرة، 8.

[36] سورة البقرة، 207.

لكن الآية لَمْ تذكرهم بعنوان "المنافقين"؛ وإنّما استخدمت التكنية عنهم فقالت: **{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ}**، وعدم ذكرهم بعنوانهم لأنّ الآية ليست في سياق الحكم عليهم، بل في سياق ذكر وصفهم وذمهم، فقد يكون القرآن الكريم في سياق ذكر الوصف كما في هذه الآية المباركة، وقد يكون القرآن في سياق الحكم عليهم وعنونتهم وفرزهم عن المؤمنين كما في قوله عزّ وجلّ: **{وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ}**[38]، وقوله سبحانه وتعالى: **{إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ}**[39].

المفردةُ الثالثة: بما أنّ كلمة: **{وَمِنَ النَّاسِ}** تعني بعض الناس المستفاد مِن التعبير بـ"مِن"، فإنّه يجتمع مع المفرد ومع الجمع، فيمكن أنْ يُقال: "مِن الناس مَن يذهبون"، و يمكن أنْ يُقال "مِن الناس مَن يذهب"، فهي تجتمع مع المفرد والجمع، لذلك جمعت الآية بين الوصفين -المفرد والجمع-، فقالت بوصف المفرد: **{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ}**، وقالت بوصف الجمع: **{آمَنَّا}**، فأحد الوصفين للإشارة إلى اللفظ والوصف الآخر للإشارة إلى المعنى.

المفردةُ الرابعة: لماذا كررت الباء في الآية المباركة حيث قالت: **{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ}**، ولَمْ تقل: "ومِن الناس مَن يقول آمنا بالله واليوم الآخر" مِن دون تكرار الباء؟

وهنا توجيهان لتكرار الباء:

التوجيهُ الأوّل: لبيان أنّ الإيمان باليوم الآخر مِن أصول الدين؛ فكما أنّ الإيمان بالله تبارك وتعالى أصلٌ فإنّ الإيمان باليوم الآخر أصلٌ كذلك، ولو عبر بالعطف وقال: "آمنا بالله واليوم الآخر" لربما استفيد مِنْهُ أنّ الإيمان باليوم الآخر مما يتفرعُ على الأصل الأوّل مِن أُصول الدين فهو مِن لوازمه ومِن خصائصه، ولكن حينما ينصّ عليه بالباء ففي ذلك إشارةٌ إلى أنّ الإيمان باليوم الآخر وإنْ كان في طول

---

[37] سورة البقرة، 8.

[38] سورة التوبة، 101.

[39] سورة المنافقون، 1.

الإيمان بالله سبحانه وتعالى مِن حيثُ البرهنة العقلية إلّا أنّه أصلٌ ومحورٌ في مقام التدين والإيمان مِن حيثُ العقيدة.

التوجيهُ الثاني: أنّ هذه الآية تحكي مقالة المنافقين، لا أنّها في مقام بيان أُصول الدين وأركان الإيمان، ومقالةُ المنافقين هي: **{آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ}**، فرُبما فصل المنافقون بين الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر لإظهار اهتمامهم بالدين وأركانه نفاقاً منهم وخداعاً للمؤمنين، فكأنّهم ينصون على كُلّ مفردةٍ بالإيمان والاعتقاد نفاقاً منهم.

المفردةُ الخامسة: في عدم ذكر الإيمان بالأنبياء والأوصياء؛ حيثُ لَمْ تنصّ الآية المباركة على الإيمان بالأنبياء والأوصياء، بل قالت: **{آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ}** ولَمْ تذكر إظهار الإيمان بالأنبياء والأوصياء (صلوات الله عليهم أجمعين).

وهنا أيضاً توجيهان:

التوجيهُ الأوّل: قد يكون عدم ذكر الإيمان بالأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) لكونه مِن لوازم الإيمان بالله تبارك وتعالى على نحو اللزوم البيّن الواضح الذي يغني عن ذكره.

التوجيهُ الثاني: أنّ الآية في مقام عرض مقالة المنافقين، وعدم إيمان المنافقين بالنبيّ (صلى الله عليه وآله) كان أمراً واضحاً لا يحتاج أنْ يُذكر ثمّ يُنفى، فالمنافقون كانوا معروفين بعدم الإيمان بالنبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) فلا حاجة لأنْ تذكر الآية الشريفة أنّهم يُظهرون الإيمان بالنبيّ (صلى الله عليه وآله) وهم ليسوا بمؤمنين؛ ولذلك اقتصرت الآية الكريمة على ما يتوهم الناس أنّهم يؤمنون بِهِ؛ حيثُ كان المنافقون يعيشون مع المسلمين في المدينة المنورة فكان الناس يتوهمون أنّهم يؤمنون بالله سبحانه وتعالى وباليوم الآخر، فلأجل دفع توهم الناس أشارت إلى ما يخدعون بِهِ الناس ونفته، وإلّا فالإيمان بالنبيّ (صلى الله عليه وآله) كان منفياً وواضح العدم بالنسبة للناس الذين يختلطون بهم.

المفردةُ السادسة: إنّ قوله تبارك وتعالى: **{وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ}** إظهارٌ للغيب؛ فكأنّه بيانٌ إلى أنّهم لن يؤمنوا حتى يموتوا، وإلّا فلو كان يُحتمل أنْ يتجدد لهم الإيمان في المستقبل لما نفي عنهم الإيمان بنحوٍ مطلقٍ، ولقالت الآية: "وما آمنوا"، ولَمْ تقل: **{وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ}**.

فقوله تبارك وتعالى: **{وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ}** ظاهرٌ في أنّ هذه الفئة لن تؤمن حتى تنتهي وتنقرض، فهي نظير الآية المباركة التي حكت خطاب إخوة نبيّ الله يوسف (عليه السلام) لأبيهم النبيّ يعقوب (عليه السلام) بقوله تعالى على لسانهم: **{قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ}**[40]؛ حيثُ إنّهم يعرفون أنّ أباهم لا يؤمن بهم ولا يذعن لكلامهم لا فعلاً ولا مستقبلاً.

والنتيجة: أنّ الآية المباركة في قوله تبارك وتعالى: **{وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ}**[41] نظير قوله تبارك وتعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}**[42]، فقد حكت الآية المباركة السابقة صفة الكافرين بأنّهم لا يؤمنون، وعطفت هذه الآية على ما مضى صفة المنافقين بأنّهم أيضاً لا يؤمنون بقوله تعالى: **{وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ}** فكأنّ المنافقين على نسق الكافرين مِن حيثُ الإصرار على عدم الإيمان.

والحمد لله رب العالمين.

[40] سورة يوسف، 17.

[41] سورة البقرة، 8.

[42] سورة البقرة، 6.